

الغلبة على الشرّ بالخير



السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: رومية ١٢: ١٣.

آية الحفظ: «وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيِّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللَّهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ» (رومية ١٢: ٢).

مهما كان الرسول بولس يحاول أن يخفّف من تعنّت أهل رومية والحدّ من أفكارهم الخاطئة عن الناموس، فهو يدعو المسيحيين أيضاً إلى طاعةٍ قصى. هذه الطاعة تأتي من تغيير داخلي في القلب والعقل، تغيير يأتي فقط من خلال قوّة الله العاملة في حياة الإنسان الخاضع له. الرسالة إلى رومية لا تلمّح بأنّ الطاعة تأتي تلقائياً. ينبغي على المسيحي أن يستنير في معرفة المطالب، وينبغي أن يرغب في إطاعة هذه المطالب، وأخيراً ينبغي أن يسعى في طلب القوّة التي بدونها تكون الطاعة مستحيلة.

إنّ هذا يعني بأنّ الأعمال هي جزء من الإيمان المسيحي. لم يقصد بولس أبداً أن يقلل من أهميّة الأعمال. فهو يشدّد على الأعمال في الأصحاحات ١٣، ١٤، ١٥. وهذا ليس إنكاراً لما قاله سابقاً عن التبرير بالإيمان. وعلى عكس ذلك، فالأعمال هي التعبير الحقيقي عن السلوك بالإيمان. ويمكن للمرء أن يجادل بأنّه بسبب الإعلان الإضافي بعد مجيء يسوع، فإنّ المطالب ازدادت صعوبةً عنها في العهد القديم. فمؤمنو العهد الجديد قد أعطوا نموذجاً للسلوك الأخلاقي اللائق في حياة يسوع المسيح. فالمسيح وحده وليس سواه هو الذي أظهر النموذج الذي يجب أن يتّبع. «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي [ليس في موسى ولا دانيال ولا داود ولا سليمان ولا أخنوخ ولا دُبُورَةَ ولا إيليا] فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (فيلبي ٢: ٥). فالمستوى لا يمكن أن يسمو أكثر من ذلك.

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٢٣ كانون الأول (ديسمبر).

عِبَادَتِكُمُ الْعَقْلِيَّة

لقد انتهى القسم العقائدي لرسالة رومية بالأصحاح ١١. والأصحاحات ١٢-١٦ تقدّم تعليمًا عمليًا، وملاحظات شخصية. ولكنّ هذه الأصحاحات الختامية هي هامة للغاية لأنها تبيّن كيف نحيّا حياة الإيمان.

في البداية، الإيمان ليس بديلاً عن الطاعة، كما لو أنّ الإيمان يلغي بطريقة ما التزامنا بإطاعة الرب. فالتعاليم والإرشادات الروحية والأخلاقية لا زالت سارية المفعول. فإنّها تُشرح وتوضّح بالتفصيل في العهد الجديد. كما لا يوجد دليل كذلك على أنّه سيكون من السهل على المسيحي أن ينظّم حياته عن طريق هذه التعليمات الإرشادية المتعلقة بالمبادئ الأخلاقية. على العكس من ذلك، فقد أخبرنا بأنّ الأمر يكون صعباً أحياناً، لأنّ الحرب مع النفس ومع الخطيئة هي دائماً صعبة. (١ بطرس ٤: ١). المسيحي قد وُعد بقوة إلهية وأُعطي التأكيد بأنّ النصر ممكنة، ولكننا لا زلنا على أرض العدو وعلينا أن نخوض الكثير من المعارك ضد التجربة. والخبر السار هو أنّنا إذا سقطنا أو تعثرنا فإننا لا نُرفض، وذلك لأنّ لنا رَيْسُ كَهَنَةٍ يَشْفَعُ فِيْنَا. (عبرانيين ٧: ٢٥).

اقرأ رومية ١٢: ١. كيف يُبيّن لنا التشابه الجزئي المقدم هنا الطريقة التي ينبغي لنا كمسيحيين أن نعيش بها حياتنا؟ وكيف يتناسب ما جاء في رومية ١٢: ٢ مع هذا الأمر؟

يشير الرسول بولس، في رومية ١٢: ١، إلى التقدّمات في العهد القديم. وكما كانت الحيوانات تُقدّم في القديم ذبيحة لله فهكذا المسيحيون الآن يجب أن يخضعوا أجسادهم لله. ليس ليقتلوا بل يُقدّموا كذبايح حية مكرسة.

في عهد إسرائيل القديم، كانت كلّ تقدمة تُفحص جيّداً. فلو اكتشف أي عيب في الحيوان، كان يُرفض لأنّ الله قد أمر بأنّ الذبيحة تكون بلا لوم. لذلك، فالمسيحيون مطالبون بأن يُقدّموا أجسادهم «ذبيحةً حيّةً مقدّسةً مرضيّةً عند الله». ولكي يفعلوا ذلك، فكلّ مقدّراتهم يجب أن تُحفظ في أفضل حالة ممكنة. ومع أنّه لا يوجد فيما بيننا مَنْ هو معصوم من الخطأ، فالفكرة هي أنّنا ينبغي أن نسعى إلى عيش حياة طاهرة بلا شوائب وبأمانة بقدر استطاعتنا.

« بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، (رومية ١٢: ٢). بهذه الكيفية يصف الرسول بولس التقدم المسيحي؛ لأنه يخاطب الذين صاروا مسيحيين قبلاً. إن حياة المسيحي لا تعني الوقوف ساكناً بل أن تتقدم مما هو حسن إلى ما هو أحسن» (مارتن لوثر، تعليق على رسالة رومية، صفحة ١٦٧-١٦٨). ما معنى بل أن تتقدم مما هو حسن إلى ما هو أحسن في الحياة المسيحية؟

١٨ كانون الأول (ديسمبر)

الاثنين

أن تُفكّر بعقلانية

لقد تحدثنا كثيراً في هذا الربع عن دوام الناموس الأدبي وشدّدنا مراراً عديدةً بأن رسالة بولس لأهل رومية لا تعلّم بأنّ الوصايا العشر قد عفا عليها الزمن أو أبطل مفعولها بالإيمان.

ومع ذلك فمن السهل أن ننجرّف وراء حرفيّة الناموس لدرجةٍ ننسى معها البُعد الروحي للناموس. وهذا البُعد الروحي يعني محبتنا لله ومحبتنا الواحد للآخر. وبينما يمكن أن يتظاهر أي إنسان بالمحبّة، إلا أن إظهار المحبّة في الحياة اليوميّة يمكن أن يكون شيئاً آخر يختلف كليّةً.

اقرأ رومية ١٢: ٣-٢١. كيف يجب أن نُظهر محبتنا للآخرين؟

كما يتضح في الأصحاحين ١٢ و ١٣ من كورنثوس الأولى، فإن بولس الرسول يرفع المحبّة عالياً بعد ذكر مواهب الروح القدس. المحبّة (أغابي) في اليونانية هي الطريق الأسمى. «الله محبّة (١ يوحنا ٤: ٨). لذا، فالمحبّة هي تصوير لصفات الله. أن تحب معناها أن تتصرّف مع الآخرين كما يتصرّف الله معهم وأن تعاملهم كما يعاملهم الأب السماوي الحنون. يبيّن بولس الرسول هنا أنّ المحبّة يجب أن يُعبّر عنها بطريقة عمليّة، وهنا تبرز صفة هامة وهي التواضع الشخصي: أي استعداد كل واحد منا «أن لا يَرتَبِي فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرتَبِي» (رومية ١٢: ٣)، واستعدادنا لأن نقدّم بَعْضنا بَعْضاً فِي الكَرَامَةِ (رومية ١٢: ١٠). وما يوضح جوهر وخلاصة هذا الموضوع هو كلمات المسيح عن نفسه «إِحْمَلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمَتَوَاضِعُ الْقَلْبِ» (متى ١١: ٢٩).

يجب أن يكون المسيحيون أكثر الناس تواضعاً. فعلى كل حال، انظروا إلى مدى ضعفنا وعجزنا كبشر. انظروا إلى أي درجةٍ سقطنا. انظروا إلى مدى اعتمادنا، ليس فقط على برّ خارج عنّا لنيل الخلاص، ولكن على قوّة تعمل فينا لتغيّرنا بطرق حيث

لا نقوى نحن على تغيير أنفسنا. فما هي دواعي افتخارنا واعتدادنا بأنفسنا؟ لا شيء البتة. ولكي نتحلّى بهذا التواضع الشخصي - ليس فقط تُجَاهَ الله وإنما تُجَاهَ الآخرين - علينا أن نحيا كما يهيب بنا الرسول بولس في هذه الآيات.

اقرأ رومية ١٢: ١٨. ما مدى تطبيقك لهذه النصيحة فعلياً في حياتك الآن؟ هل تحتاج أن تغيّر أو تعدّل من تصرفاتك كي تسلك بحسب كلمة الله هنا؟

١٩ كانون الأول (ديسمبر)

الثلاثاء

المسيحي والدولة

اقرأ رومية ١٣: ١-٧. ما المبادئ الرئيسيّة التي نأخذها من هذه الفقرة عن الطرق التي بها نتعامل مع سلطة الحكومة المدنيّة؟

ما يجعل كلمات بولس مشيرة للاهتمام جداً هو أنه كتبها في الوقت الذي كانت فيه إمبراطورية وثنية تحكم العالم. لقد كانت سلطة وحشية بشكل لا يُصدّق، سلطة كانت قابعةً في الفساد، لا تعرف شيئاً عن الإله الحقيقي. وفي غضون بضع سنوات، كانت تلك السلطة ستمكن من أن تشنّ اضطهاداً جماعياً مكثفاً على أولئك الذين يودّون أن يعبدوا هذا الإله الحقيقي. هذه السلطة الغاشمة هي ذاتها التي أزهقت روح الرسول بولس. وبالرغم من ذلك، فقد دعا بولس المسيحيين إلى أن يكونوا مواطنين صالحين أمناء، حتى تحت سلطة جائرة كهذه.

وسبب ذلك هو أن فكرة الحكومة ذاتها ورد ذكرها في كلّ الكتاب المقدّس. فإن مفهوم أو مبدأ الحكومة هو من تعيين الله. فالبشر يحتاجون أن يعيشوا في مجتمع به قوانين وقواعد وإرشادات، فنظام الفوضى، أي عدم وجود سلطة أو حكومة، ليس مفهوماً كتابياً. ومع ذلك، فإنّ هذا لا يعني أن الله يوافق على كلّ أنماط الحكومات، أو كيفية إدارة هذه الحكومات. على العكس تماماً، فلا يلزم أن نذهب بعيداً في التاريخ أو في عالمنا اليوم حتّى نرى أنظمة حكمٍ تعسفية. ومع ذلك، فإنه حتّى في أوضاع كهذه، يجب على المسيحيين، بقدر الإمكان، أن يطيعوا قوانين البلاد. وعلى المسيحيين أن يؤيّدوا الحكومات في ولاءٍ وإخلاصٍ طالما تتوافق مطالبها مع مشيئة الله. ويجب على المرء أن يفكر ملياً وبروح الصلاة، مع طلب مشورة الآخرين ممّن يتسمون بالتعقل والرزانة، قبل أن يسلك طريقاً يضعه في صراع مع السلطة الحاكمة. إننا نعلم من النبوءات أنّه سيأتي اليوم الذي سيقف فيه أتباع الله الأمناء ضدّ القوى السياسيّة المسيطرة على

العالم (رؤيا ١٣). حتى ذلك الحين، يجب أن نعمل ما باستطاعتنا، أمام الله، وأن نكون مواطنين أمناء مخلصين في أية دولة نتواجد فيها.

«وعلينا أن نعتبر الحكومة البشرية مُعَيَّنة من الله ونعلّم الناس الطاعة لها على أنها واجب مقدس في حدود محيطها المشروع. ولكن عندما تتعارض مطالبها مع مطالب الله فينبغي لنا أن نطيع الله أكثر من الناس. علينا أن نعتبر كلمة الله فوق كل قانون بشري. ...

«إنه لا يطلب مِنّا أن نتحدى السلطات. فكلما سواء أكان شفهيّاً أو مكتوباً ينبغي التأمل فيه بكل حرص وحذر لئلا يسجّل علينا أننا ننطق بكلام يجعلنا نبدو كأننا خصوم القانون والنظام. علينا ألا نقول أو نفعل شيئاً يقطع علينا الطريق بلا داعٍ أو ضرورة. وعلينا أن نتقدم باسم المسيح مدافعين عن الحقائق المسلّمة لنا» (روح النبوة، أعمال الرسل، صفحة ٥٢).

٢٠ كانون الأول (ديسمبر)

الأربعاء

احبوا بعضكم بعضاً

«لَا تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لِأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلَّا بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ» (رومية ١٣: ٨). كيف لنا أن نفهم هذه الفقرة؟ هل تعني أنه إذا كنا نحب بعضنا بعضاً نكون عندها غير مُلزَمين بأن نطيع شريعة الله؟

كما فعل يسوع في الموعظة على الجبل، يسهب بولس الرسول هنا في الحديث عن أحكام وتعاليم الناموس، مُظهِراً بأنّ المحبّة يجب أن تكون المحرّك الدافع لكلّ ما نعمل. ولأنّ الناموس هو انعكاس لصفات الله، ولأنّ الله محبّة، فإنك عندما تحبّ فإنك تتّمّ الناموس الأدبي بطريقة عملية. ومع هذا، فإن بولس لم يستبدل مبادئ الناموس المفضّلة بدقة، بنموذج غير واضح من المحبة، كما يدّعي بعض المسحيين. وإنّما المحبّة التي أشار إليها بولس هي المحبة السماوية «أغابي» التي تُبجّل الناموس وتكرمه. فإنّ الناموس لا زال ساري المفعول، لأنّ الناموس، وكما ذكرنا من قبل، هو الذي يشير إلى الخطيّة. ومن ذا الذي ينكر حقيقة الخطيّة؟ ومع ذلك، يمكن للناموس أن يُحفظَ بحق وبشكل صحيح فقط في سياق المحبّة. تذكّر أنّ بعضاً من أولئك الذين جرّوا المسيح للصليب، هرولاً راجعين إلى منازلهم ليحفظوا الناموس.

ما الوصايا التي ذكرها بولس الرسول كأمثلة تبيّن مبدأ المحبة في حفظ
الناموس؟ لماذا هذه الوصايا بالذات؟ رومية ١٣: ٩، ١٠.

من المثير للاهتمام، أن عنصر المحبة لم يكن مبدأً حديثاً يتم تقديمه. باقتباس
لاويين ١٩: ١٨ «تُحِبُّ قَرِيْبَكَ كَنَفْسِكَ»، يبيّن بولس بأنّ المحبة كانت جزءاً لا يتجزأ من
نظام العهد القديم. ويلجأ بولس الرسول مجدداً إلى العهد القديم كي يدعم كرازته
بالإنجيل. وفي ضوء هذه الفقرة الكتابية، يجادل البعض بأن فقط الوصايا التي ذكرها
بولس هنا هي وحدها التي لا تزال سارية المفعول، دون باقي الوصايا العشر. فلو كان
الأمر كذلك، فهل هذا يعني، إذن، أنه يمكن للمسيحيين احتقار وإهانة والديهم بدل
أن يكرمهم، أو أن يعبدوا الأوثان وأن تكون لهم آلهة أخرى أمام الله؟ بالطبع لا.
انظر إلى السياق هنا، فإنّ بولس الرسول يتحدّث عن تعاملنا مع بعضنا البعض.
فهو يتعامل مع العلاقات الشخصية، وهذا هو السبب في أنه حدد وذكر الوصايا التي
تتركز حول هذه العلاقات. وبالتأكيد لا ينبغي تفسير حديثه هنا على أنه قد أبطل
بقية وصايا الناموس الأدبي. (انظر أعمال ١٥: ٢٠؛ ١ تسالونيكي ١: ٩؛ ١ يوحنا ٥: ٢١).
علاوة على ذلك، وكما يُبين بقية كتبة العهد الجديد، فإنّه بإظهار محبتنا للآخرين
فنحن نبيّن بذلك محبتنا لله. (متى ٢٥: ٤٠؛ ١ يوحنا ٤: ٢٠، ٢١).

فكّر في علاقتك بالله وكيف ينعكس ذلك على علاقاتك مع الآخرين. هل
المحبة عنصر أساسي في هذه العلاقات؟ كيف تتعلّم أن تحبّ الآخرين
بالدرجة التي يحبنا بها الله؟ ما العائق الذي يقف عقبةً في تحقيق ذلك؟

٢١ كانون الأول (ديسمبر)

الخميس

خَلاصَنَا الْآنَ أَقْرَبُ

«هَذَا وَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ، أَنَّهَا الْآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ، فَإِنَّ خَلاصَنَا الْآنَ
أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا» (رومية ١٣: ١١).

وكما ذكرنا طوال هذا الربع، فقد كان لبولس تركيزٌ محددٌ جداً في رسالته إلى
رومية، وهو أن يوضّح لكنيسة رومية - وخاصةً إلى المؤمنين اليهود - دور الإيمان
والأعمال في سياق الميثاق الجديد. الموضوع كان الخلاص وكيف يعتبر الخاطئ باراً
ومقدّساً أمام الله. وكما يساعد أولئك الذين ركزوا كل اهتمامهم على الناموس، وضع
بولس الناموس في دوره ومكانه الملائمين. فمع أنّ الديانة اليهودية، حتى في أزمنة

العهد القديم، كانت، من الناحية المثالية، ديانة نعمة، إلا أن التقيّد بحرفية الناموس قد طغى وتسبّب في إحداث الكثير من الضرر. كم نحن بحاجة إلى أن نكون حذرين ككنيسة من الوقوع في نفس الخطأ.

اقرأ رومية ١٣: ١١-١٤. ما الحدث الذي يتكلم عنه بولس الرسول هنا، وكيف يجب أن نتصرّف بينما ننتظر حدوثه؟

كم كان رائعاً أن يتحدث بولس هنا إلى المؤمنين مخبراً إياهم بضرورة الاستعداد والسهر وتبدير جميع أمورهم لأن يسوع كان سيرجع ثانيةً. ولا يهم كون أن هذا الكلام قد دوّن منذ أكثر من ألفي سنة، فإنّه يجب علينا أن نحيا دائماً منتظرين قرب مجيء المسيح. فبالنسبة لنا، فإنّ مجيء المسيح ثانيةً قريب الحدوث كماكانية مؤننا تماماً. وسواء متنا الأسبوع القادم أو بعد أربعين سنة، وسواء رقدنا في القبر لمدة أربعة أيام أو لمدة أربعمئة سنة، لا يختلف الأمر بالنسبة لنا. فإنّ أول شيء ندركه بعد قيامتنا هو المجيء الثاني للمسيح. ولأن الموت يمكنه أن يداهم أي واحد منا في أية لحظة، يصبح الوقت قصيراً حقاً، ويصير خلاصنا أقرب ممّا كان حين أمنا.

ومع أنّ بولس الرسول لا يطرق موضوع المجيء الثاني كثيراً في رسالته إلى رومية، إلا أنه يغطّي هذا الموضوع بمزيد من التفاصيل في رسائله إلى تسالونيكي وتيموثاوس. وعلى أي حال، فإنّ موضوع المجيء الثاني للمسيح هام جداً في الكتاب المقدس ولاسيما في العهد الجديد. فبدونه وبدون الرجاء الذي ينطوي عليه، يكون إيماننا بلا جدوى. وعلى أي حال، ما الذي يعنيه «التبرير بالإيمان» بدون المجيء الثاني الذي يجعل ذلك الحق الرائع يؤتي ثماره؟

لو علمت بالتأكيد أنّ يسوع آتٍ الشهر القادم، فماذا تغيّر في حياتك، ولماذا؟
فإذا كنت تعتقد بوجوب تغيير هذه الأمور قبل مجيئه بشهر واحد، فلماذا لا تهتمّ بإجراء التغيير من الآن؟ وما هو الفرق؟

٢٢ كانون الأول (ديسمبر)

الجمعة

لمزيد من الدرس: «في الكتاب المقدّس تُعلن إرادة الله. حقائق كلمة الله هي ما نطق العليّ القدير به. فذاك الذي يجعل هذه الحقائق والمبادئ جزءاً لا يتجزأ من حياته يصبح بكلّ معنى الكلمة خليفة جديدة. ومثل هذا الإنسان لا يُعطى قوى عقلية جديدة، وإنّما يتم إزالة الظلام الذي كان يخيم على فكره من أثر الجهل والخطية.

إن عبارة 'وأعطيكم قلوباً جديداً' تعني 'وأعطيكم عقلاً جديداً'. فإن التغيير في القلب يلازمه دائماً اقتناع واضح بالواجب المسيحي وفهم للحق. والإنسان الذي يُولي كلام الله اهتماماً وخشوعاً قليلاً، سينال فهماً جلياً وحكمةً وحُسن تقدير، وكما لو أنه بالرجوع إلى الله قد ارتقى إلى مستوى أعلى من الفطنة» (روح النبوة، حياتي اليوم، صفحة ٢٤).

«الرب... آتٍ سريعاً، ونحن يجب علينا أن نكون مستعدين ومنتظرين ظهوره. آه، ما أروع ذلك المشهد أن نراه فيرحب بنا نحن مفديهِ! لقد طال انتظارنا ولكن رجاؤنا لم يضحل. فلو قُدِّر لنا فقط أن نرى المَلِك في بهائه، سنكون مباركين إلى الأبد. أشعر بأنني يجب أن أصرخ بصوت جهوري: «إننا متجهون لمنزلنا، إننا نقترب من ميعاد قدوم المسيح بقوة ومجد عظيم ليأخذ المفديين إلى موطنهم الأبدي السعيد» (روح النبوة شهادات للكنيسة، مجلد ٨، صفحة ٢٥٣).

أسئلة للنقاش

١. راجع في الصف السؤال الأخير في درس يوم الخميس، ماهي الأجوبة التي أعطاها الناس وكيف برزوها؟
٢. إن السؤال حول كيفية صيرورتنا مواطنين صالحين ومسيحيين صالحين قد تصعب الإجابة عليه أحياناً. إن جاء إليكم بعضهم طالبين مشورتكم ونصيحتكم فيما يتعلق بالثبات على ما يعتبرونه مشيئة الله، حتى لو جعله ذلك في تعارض مع السلطة، فماذا تقولون؟ ما المشورة التي تعطونها لهم؟ وما المبادئ التي يجب أن تتبعوها؟ لماذا يجب أن نتعامل مع هذا الأمر بكل جدية وحرص، وبروح الصلاة؟ (فعلى كل حال، ليس كل مَنْ يلقى في جب الأسود يخرج سالماً).
٣. أيهما أصعب حسب تفكيرك: أن تلتزم التزاماً صارماً بحرفية الناموس أو أن تحب الله والآخرين بلا شروط؟ أو هل تجادل بأن سؤال كهذا إنما يباين بين أمرين متناقضين ومختلفين بالفعل؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا؟
٤. إذ تقترب من نهاية هذا الربع، تحدّث في الصف عمّا تعلمته من الرسالة إلى رومية ويمكن أن يساعدك على فهم لماذا كان الإصلاح مهماً. ماذا تعلمنا الرسالة إلى رومية عمّا نؤمن به ولماذا نؤمن به؟